المرأة التطوانية والحرف التقليدية: خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين

د. أكدي حسن، كلية الآداب، فاس
د. أشبون نور الدين، كلية الآداب، تطوان المغرب

ملخص

يحاول المقال تسليط الضوء على دور المرأة في القطاع الحرفي بتطوان كحاضرة إسلامية مغربية، تميزت خلال الحقبة المعاصرة بانتشار واسع لعدة حرف تقليدية شكلت أساس عيش شريحة عريضة من المجتمع التطواني، وميدانا وفر للسلطة موارد مالية وضرائب مهمة لتغذية بيت المال، وربطت المدينة بمحيطها القريب والبعيد.

ومن جهة أخرى، كان للمرأة حضور لافت في عدة حرف أبدعت فيها باجتهادها وحرصها على التميز مقارنة بالرجل. بل رغم تلك الضوابط الاجتماعية والقيمية التي تحظر احتكاكها بفضاء ذكوري، فإن تحولات ومستجدات وظرفيات المرحلة، دفعتها لتفرض وجودها رغم العراقيل.

والأكيد أن التأريخ للمرأة يعد تصحيحا لمسار الكتابة التاريخية التقليدية، التي أعطت مساحة واسعة لكل ما هو ذكوري متناسية عن عمد ما بذلته وعانته وأنجزته النساء بالفضاء الحضري الإسلامي. أو بصيغة أخرى لابد من كتابات تاريخية تؤرخ للنساء ويجعلهن كفاعلات في كل المجالات عبر حقب التاريخ بدل هامشيات يذكرن عرضا أو صدفة كما يلاحظ في نصوص المؤرخ التقليدي.

الكلمات المفتاحية: الحرف والصنائع التقليدية، المرأة التطوانية، حرف نسائية، الفترة المعاصرة.

مقدمة:

سعيا لمعرفة مركز المجال التطواني من الداخل اخترنا البحث في فئة منتجة ألا وهي فئة الحرفيين، لكونها تجسد الواقع الاقتصادي لمدينة تطوان خلال الفترة المعاصرة، خاصة إذا علمنا أن ظاهرة الحرف أو الأصناف كما كانت متداولة في المشرق العربي عدت ولازالت أهم ظاهرة في حياة المجتمعات المدينية الإسلامية، كما أنها تعد معيارا لمدى تحضر أو تخلف هذا المجتمع أو ذاك[1].

ومعلوم أن المجتمع التطواني في الفترة ما قبل الحماية كان يتشكل من شرائح اجتماعية نشيطة، يأتي الحرفيون في مقدمتها. وبالرغم من صعوبة تحديد أعداد دقيقة للحرفيين داخل المدينة خلال الفترة المدروسة، فإن المصادر تشير إلى أن شريحة واسعة من الساكنة التطوانية كانت تتخذ من الحرف مصدر رزق لها بما فيها النساء، وعبرها كذلك يتم تأمين احتياجات الساكنة داخل المدينة وخارجها. ومن جهة أخرى، وحينما نستحضر مقاربة ابن خلدون في فهمه لوجوه المعاش وأصنافه ومذاهبه فإنه يؤكد أن هناك ثلاثة وجوه للمعاش، "أولهما الفلاحة التي اعتبرها أقدمهم ونسبها للطبيعة لسببين، فأما الأول أنها بسيطة فطرية لا تحتاج إلى نظر ولا علم واقترانها بالعامة أمر له مشروعية، والثاني أن البشرية بدأت في معاشها بالفلاحة ونسب ذلك لآدم عليه السلام فهو معلمها والقائم عليها، ولهذا فالزراعة تعد المعاش الأساس الأكثر فطرية والأكثر التصاقا بالطبيعة. أما المعاش الطبيعي الثاني الذي حدده ابن خلدون فيتمثل في الصناعة المتأخرة عن الزراعة لأنها مركبة وعلمية وتصرف فيها الأفكار والأنظار ومتمركزة في أهل الحضر، وقد ميز بين صنفين من الصنائع: الصناعات التي تظهر بشكل مادي ملموس المنتجون والصناعات التي لا تظهر ماديا لكن لها منافعها وضرورتها كالامتهانات والتصرفات، وهما في الجملة أساس المعاش المرتبطة بأهل الحضر وبالمدينة وبالعمران. والمعاش الطبيعي الثالث يتمثل في التجارة التي نجدها ذات منزلة خاصة تبرز في الأعواض أي الحصول على بين القيمتين في الشراء والبيع لتحصل فائدة الكسب وإن كان قد صنفها إلى نوعين: تجارة الطرق والبضائع، وهي سبب الغنى والثراء، والصنف الثاني المرتبط بالعامة كشريحة مهمة من شرائحها وهي تجارة السوق وأصحابها صغار التجار والباعة سواء الثابتون أصحاب الحوانيت أم الباعة المتجولون كالدلالين والسماسرة، وهذا الصنف الأخير على رأي ابن خلدون لا يخلو من الغش والمماحكة والاحتكار وكان وصفا من أوصاف العامة"[2].

وجاء عند أحد الدارسين أن الصناعة على الرغم مما تمثله من خانة بارزة في خارطة التاريخ الاقتصادي، فإنها لم تنل العناية الكبيرة، سواء في متون المؤلفات القديمة أو في الدراسات الحديثة.

إذ يلاحظ بخصوص تطوان غياب دراسة مستقلة تهتم بموضوع الحرف والحرفيين خلال الفترة المعاصرة، وهذا ينم عن شح المادة المصدرية، أو قلتها واستنكاف الدارسين عن دراسته، وعدم تكليف أنفسهم عناء البحث في هذه المجالات[3].

لذلك فإن اهتمام المؤرخ والجغرافي بموضوع الحرف عامة، وبالتأريخ للمرأة لإبراز دورها خاصة، يندرج في إطار اهتمام أكبر يتوخى تصحيح مسار الكتابة التاريخية بتحويل وجهتها من السياسي إلى المجتمعي، ومن البنية الفوقية للمجتمع إلى بنياته التحتية، فتم بذلك الانتقال من التاريخ المنظور إليه من الأعلى إلى التاريخ المنظور إليه من الأسفل، عبر إعادة الاعتبار

لمن لهم دور في تحريك مجرى التاريخ من صناع وحرفيين ومزارعين وباعة متجولين ومهمشين في التدوين التاريخي وغيرهم بالمدن أو البوادي.

إن عودة الكتابة التاريخية لمقاربة موضوعات اجتماعية صرفة كالحرف، لهو استعادة لتاريخ المجتمعات والذهنيات من أيدي السوسيولوجيين والأنثروبولوجيين وانتصار لفئة لطالما همشها التاريخ وعاقب ممتهنيها بالتجاهل والنسيان[4]. أي أن عدم التطرق لها من طرف مؤلفات التاريخ الرسمي جعلها مهمشة، في حين النظر إليها من الزاوية القيمية والاقتصادية فهي تظل حاضرة كأهم مصدر لعيش العديد من شرائح المجتمع. وهو ما دفع بعض الدارسين للتساؤل: إلى أي حد يمكن اعتبار صانعي المعاش جماعة مهمشة؟ فهل تهميشهم من قبل الكتابة التاريخية يعني، أنهم اجتماعيا وثقافيا، كانوا مهمشين؟[5].

من خلال هذا التمهيد والنظرة الخلدونية سنعمل على رصد الدور الاقتصادي لنسوة تطوان في الفترة المعاصرة (القرنين 19 و20) عبر وجه من وجوه معاشها المتمثل في الحرف والصنائع.

لكننا نشير هنا أننا نؤمن بأن البحث في الموضوع الرئيس الحرف والصنائع بتطوان الفترة المعاصرة "لا يندرج في باب الاهتمام بالتاريخ الاجتماعي كما يبدو لأول وهلة فقط، أو كما اعتاد البعض على تصنيفه ضمن قضايا تلك الخانة، بل أمكن الموضوع أن يكون –رغم طبيعته الاجتماعية– نافذة لمعالجة قضايا سياسية وعسكرية وثقافية ودينية واقتصادية، فليس هناك موضوع ما يظل حكرا على خانة بعينها، إذ الموضوعات قطعة مغناطيس لها قوة الجذب لأغلب القضايا ذات الصلة بها والمنثورة في كل الاتجاهات[6]، أي أنه صدى لكل ذلك، نظرا لأن الحرف والصنائع تتنوع وتتعدد بحسب الحاجة، كما أنها تخبو وتنمو بحسب الطلب، مما يعني أنها ليست دالة على الازدهار والاستقرار، بل إن ازدهار بعض أنواعها وكساد بعضها خلال فترات محددة دالة على زمانها فقط"[7]. ونحن إذ نعرض هذا تتبادر لأذهاننا بعض الإشكاليات التالية:

- ماهي أبرز الحرف والصنائع التي مارستها المرأة التطوانية خلال المرحلة؟
- أين تتجلى أهمية تلك الحرف بالنسبة لها؟

المرأة التطوانية وبروزها بالمجال الحرفي خلال القرن التاسع عشر

المثير أثناء معالجتنا لبعض مضامين المصادر المحلية للمدينة باحثين عن أفكار أو وقائع نعزز بها وجهة نظر أو تحليل، صادفنا مدى درجة الوجود الكثيف للنساء العاميات في بعض المهن والحرف التي إما شاركن فيها الرجل أو انفردن بها. وهذا لدليل على أن المرأة كانت حاضرة ومتفاعلة في محطات القرن التاسع عشر مهنيا. ومن أبرز الحرف التي تعاطينها بالمدينة ونواحيها وجدنا الآتي:

أ. حرف نسوية مرتبطة بالمنسوجات*

"تدرازت"

تجمع المصادر على العمق التاريخي لاشتغال المرأة في المغرب بالنسيج، وتذكر الوثائق بأن تعاطي المرأة للحياكة كان موجودا بالسهول كما في الجبال[8]. ففي تطوان يشير الرهوني إلى كونها «حرفة جيدة، تعيش صاحبها إذا كان ملازما لها، مقتصدا في عيشه، وصناعها رجال، إلا المناديل من الصوف أو القطن، فإن النساء، وغالبهن بدويات، يحكنها»[9]. ولكونها مهنة تعاطتها نساء أسر فقيرة فإن المخزن حاول جاهدا ومنذ منتصف القرن التاسع عشر مساعدة النساء المتعاطيات للنسيج بتوفير المادة الأولية لهم بعدم تشجيع تصديرها[10].

الغزل

شكل كذلك مجالا مهنيا مارسته المرأة بشكل كبير «ولا يتعاطى هذه الحرفة هنا إلا النساء، فيشترين البطانة أو الصوف، ويغسلنها 'ويقرشلنها' بالقرشال، وهو لوحتان بهما أسنان من سلك ثم يغزلنها في المغازل»[11]. ومادام من الصعب الفصل بين صنع المنسوجات وبيعها لتداخلها في كثير من الأحيان، فقد كانت المرأة التطوانية تهتم بالإتجار فيها، خاصة المغزول من الحرير الذي اشتهرت به المدينة «فتعمل البكر وحدها أو مع غيرها زريعة الحرير كل عام. وبعد كمالها، تبيع البعض وتصبغ البعض، وتشتري بثمن المبيع الثياب التي ترقمها»[12].

ويبدو أن هناك دوافع جعلت بعض هؤلاء النسوة يمارسن هذه الحرفة لاسيما وأن معظمهن من عوائل متواضعة، فإضافة لإعالة أبنائهن ودعم أزواجهن بخصوص المصروف، فالأبكار منهن كن يدخرن من أجل تجهيزهن أثناء تقدم عريس لخطبتهن وهو ما يذكره الرهوني بشكل صريح قائلا: «وغير ذلك من لوازم شورتها وكسوتها، وكسوة عروسها، بحيث متى خطبت، صادفها الحال قد أعانت وليها على تجهيزها بقدر واف. هكذا كان الحال عند غالب أهل هذه البلد»[13].

الخياطة

خلافا للنسيج الذي كان متواجدا بالبوادي والمدن فإن الخياطة كانت مهنة نسائية حضرية تمارس بالإبرة طيلة القرن التاسع عشر، رغم ما ستعرفه هذه المهنة من مستجدات في نهاية القرن[14]، ويظهر أنها مهنة تعاطاها الرجال والنساء، كما اليهود والمسلمون «وهي حرفة منتشرة هنا جدا بين المسلمين وغيرهم، والرجال والنساء»[15]. لكن انطلاقا من منتصف القرن بدأت الوثائق تحدثنا عن 'فبريكة' الخياطة معلنة دخول الآلة إلى هذه الحرفة على يد التاجر الإنجليزي "كورتيس" وكان أول من اشتغل بها اليهوديات بمدينة الصويرة ثم مدينة مراكش بعد ذلك[16].

أضف كذلك أن الدون فرناندو أشار إلى أن بعض النسوة من آهالي تطوان اختصن في صناعة "الهيادر" وبعض الأفرشة التي تغطى بها أرضيات المنازل[17]. دون أن ننسى تعاطي بعضهن لفن الطرز الذي تعرفن عليه من الأندلس وأوربا، كما أخذن عن الطرز الفاسي، إذ كان يوجد بالمغرب طرز علجي الأصل أدخلته إلى المغرب النساء التركيات أو "الجركسيات" اللواتي تسرى بهن أهل فاس وغيرهم، ثم التطريز التطواني الذي هو من أصل بلقاني[18].

ب. حرف نسوية ذات صلة بالنوع

القابلات[19]

تعتبر المهنة التاريخية للمرأة، فالتوليد هو الصنعة النسائية الوحيدة التي تحدث عنها ابن خلدون في مقدمته، وفي مغرب القرن التاسع عشر كان عمل القوابل يشمل التوليد والقيام بالمعاينات المتعلقة بالحمل كالإجهاض، وإثبات أو نفي الحمل إذا استدعين من طرف مجلس الشرع بالنسبة للمدن أو من طرف الجماعة في البوادي[20]. ونساء تطوان مارسن كباقي نساء مناطق المغرب هذه المهنة «وهي حرفة خاصة بالعجائز وشأنهن معرفة عيوب النساء، وهل هن حبالى أم لا، وغير ذلك من أحوال الأرحام والفروج وما بطن»[21]. وهذا ما يتأكد من متن نص تاريخي بأحد الحوالات جاء فيه : « الحمد لله تلقى شهيداه من المصونتين ءامنة بنت يوسف حمدان ورحمة بنت الحسن البراق من القوابل العارفات بأحوال النسب من تلد منهن ومن لاتلد وإليهما المرجع في علم ذلك معرفتهما للمصونتين الشقيقتين العجوزتين خديجة ورقية بنتي الفقيه العدل السيد محمد بن أحمد (...) الأندلسي التطاوني ويشهدان مع ذلك بأن الشقيقتين المذكورتين بلغتا أمر إقطاع الولادة وليست منهن وكل واحدة منهما ممن لا تلد عادة لكبر سنها وانقطاع حيضها تلقيا تلقاه منهما في أواسط المحرم عام تسعة وستين ومائة وألف..»[22].

وتشير العيساوي في تقصيها من خلال الوثائق كون أن المحظوظات من هاته القوابل كن يعملن بدور المخزن وتتمتع بظهير توقير واحترام يعفيهن من الكلف، غير أن غالبيتهن كن يشتغلن لصالح عوام نساء المدن أو البوادي، كما أن أجورهن من الصعب معرفتها في ظل غياب معطيات[23].

الماشطات[24]

في مغرب القرن التاسع عشر تعدى عملهن مدلول الكلمة اللغوي ليشمل بالإضافة إلى تزيين العرائس، الاعتناء بإعداد جهازهن بل بإعداد المفروشات لمختلف المناسبات السارة، وهو ما كانت نساء المدينة يقمن به حسب الرهوني: «وهي مهنة يتعاطاها بعض العجائز. وعملها هو جعل الحناء في رؤوس العرائس وأيديهن وأرجلهن، وتزويق وجوههن بعدة ألوان، وإلباسهن الملابس اللائقة»[25].

والمهنة هاته كانت منتشرة بالوسط الحضري بعدة أرجاء من المملكة، خاصة تلك التي تلقت نفس المؤثرات الاجتماعية من الناحية التاريخية وتشترك مع تطوان في أحد مكونات سكانها كفاس وسلا والرباط، لأن أصل هذه المهنة من المشرق، ولا يفسر دخولها إلى شمال إفريقيا إلا عن طريق الأندلس من طرف الموريسكيين، ولذلك نجدها في الجزائر وفي نفس الفترة كانت موجودة بأوربا[26].

الولولة*

دونما شك أن الأفراح والمناسبات التي ارتبطت بالزفاف أو ولادة المواليد أو الخطبة وغيرها، أسهمت إلى حد كبير في إيجاد نسوة امتهن حرف ارتبطت بها، فكانت هناك نساء وغالبهن من الإماء دورهن إخراج صوت له ميزته الصوتية في التبشير وإسماع العموم بأن بالمنزل كذا أو بفضاء ما لحظات احتفاء أو فرحة تخص مناسبة عائلية معينة، وهو ما أثاره الرهوني في كتابه قائلا: «وهي قول الإماء المعتقات أيضا يو يو يو يو، إعلاما بالأفراح من وليمة ونحوها»[27].

الغنايات[28]

أي «الغناء في الولائم والأفراح. وهي حرفة أرباب الأوثار»[29]، وحسب الباحثة فاطمة العيساوي فمدن القرن التاسع عشر عرفت بروز مغنيات كن يمارسن غناء مختلفا عما كان يوجد بالبوادي، إذ كن يغنين قصائد الملحون أو ما يعرف بفن القول الشعبي مثلهن في ذلك مثل شيوخ الرجال[30]، وهو ما عرفته تطوان « وقد يحترف هاذه الحرفة بعض النساء اللاتي يغنين في الأفراح للنساء، ويسمين بالغنايين أي الغنايات »[31]، كما انتشرت أيضا ما يسمى بالمداحات أي عملهن يصب في ترديد الأمداح النبوية في المناسبات العائلية المختلفة، والفرقة تكون تحت رئاسة « عجوز تسمى المعلمة، وهي المنشدة للمدح وبيدها طار، وبيد رفيقاتها اللاتي تسمين الرفقان، "بنادير" و"أكوالات" يضربن معها، ويجبنها على غنائها. وهو نوع متأخر في الغناء، إلى درجة أنه يجلب النوم»[32].

وحفاظا على الأمن الأخلاقي للمجتمع كان المخزن يقوم بحملات رادعة، الهدف منها وضع ضوابط تنظم عمل هاته المهن النسوية، وذلك بالتنصيص على مسألتين أبرزتها العيساوي بأطروحتها كالآتي: تحديد مهنة هؤلاء النساء، فلا تتعاطى المهنة صغيرات السن منهن مع فرض لباس لهن يميزهن عن النساء الرصينات المنتميات إلى الأسر المحترمة، تنظيم عملهن بأن لا يكون إلا ليلا وبدعوة من صاحب الحفل مع تقديم مبلغ مالي مسبقا، والعمل في أوساط نسائية محضة وبدون رقص[33].

جدول (1): نماذج من حرف نسوية انتشرت بالمدينة[34]

بعض الحرف النسوية	التعريف بها	طبيعتها
الجلاسة	المكلفة بقبض الأجرة ممن يردن دخول الحمام للاغتسال.	حرف ذات صلة بالنظافة
الطيابة	من تقوم بمساعدة المستحمات بالحمام إذ تقرب سطول الماء، وتحك لهن أجسمهن.	
العشابة	يقمن بمداوة المرضى من خلال درايتهن بصنع أدوية من العشب.	لها صلة بمجال الطب.
الفقيهة	تعلمن البنات حفظ القرآن، والكتابة والقراءة.	لها صلة بالتعليم
الفتالة	من اختصن في إعداد حبوب الكسكس.	لها صلة بالغذاء
القطارة	من اختصن في تقطير الزهر والورد للغذاء أو الدواء.	
الطرازة	من اختصن في تزويق الألبسة والأفرشة بألوان وأشكال مختلفة لتزينها.	لها صلة بالخياطة
صانعة العقد	هن من كن مختصات في تزيين القفاطين وغيرها بأزرار مختلفة الألوان، وغالبيتهن كن يهوديات.	
حكاكة الصفر	من يقمن بتلميع الأواني النحاسية بمادة الرميلة والرماد والليمون.	ذات صلة بالحياة العامة
فتاشة الخدم.	المكلفة ببيع وشراء الإماء، وكذا تعيين خادمات البيوت.	–
الوسيطة	أي تلك النسوة اللواتي كن يأتين بالثياب لبيوت السيدات المسلمات من الأسر الغنية، لاختيارها من لأجل الشراء، أضف لذلك تقديم لهن	

	خدمات أخرى كإيصال الأشياء أو تبليغ كلام لأحدهم وغالبيتهن من اليهوديات.	
البراحة	تلك اللواتي كن مكلفات بإشاعة الأخبار والأحكام بين الدور.	
البياطة	تلك النسوة اللواتي كن مختصات في صباغة الجدران بالجير.	
الغسالة	من كن لهن الدراية بغسل الموتى من النساء والأطفال.	

المصدر: حسناء داود، تطوان، سمات وملامح...، مرجع، سابق

ويرتبط كذلك بهذا النوع من المهن، تعاطي النسوة حرفة الطبالة، فإذا كانت كثير من الوثائق تركز على مدن بعينها فيما يخص هذا، فالباحثة لا تستبعد وجود مثيلات لهن في العديد من الحواضر كتطوان وغيرها، لأن طبيعة المجتمع الحضري في القرن التاسع عشر كانت قائمة على النوع وعدم الاختلاط بين الجنسين، وبالتالي فوجود فرق غنائية خاصة بالنساء كان أمرا واردا في عدة مدن[35].

وبخصوص مداخلهن المادية فلا تسعفنا المصادر كثيرا في ذلك اللهم إشارة أوردها الرهوني تتعلق بالمداحات «ويغرم عليهن النسوة دراهم كثيرة يقتسمنها على قدر جاههن»[36].

ويظهر النوع كذلك في تعاطي النساء التطوانيات لحرف ذات طابع تجاري بأسواق المدينة، منها:

بيع الخبز

«الخبازة، أي صنع الخبز وبيعه. وهاذه الحرفة خاصة بالنساء أما بيع الخبز، فيشترك فيه النساء والرجال»[37]. وهو ما توصلت إليه فاطمة العيساوي مؤكدة أنه بالرغم من ارتباط بيع الخبز بالنساء لمعرفتهن بصنعة وضمان سهولة ترويجه، فإنه لم يكن مهنة نسائية أساسية بالدرجة الأولى في مغرب القرن التاسع عشر، لأن بيع الخبز على نطاق واسع كان ممارسا من طرف الخبازة الرجال والرحوية الذين كانوا يزودون المخزن بالخبز اليومي لأغراضه العامة، مما يؤكد هزالة هذا النوع من التجارة التي كانت تقوم بها النساء[38]، لكن الأكيد بالنسبة لتطاون أن عدة نسوة بأحوازها كن حريصات على حمل بعض المواد الأولية المنتجة بقراهن كالصوف والزبدة وغيرها وبيعها بأسواق المدينة مقابل شراء مواد مصنعة ذات طابع استهلاكي كالسكر والشاي والصابون...[39]

ونادرا ما نجد المرأة التطوانية العامية بالذات تمارس مهنا غريبة عن كينونتها باستثناء ما نقرأه في إحدى الرسوم العدلية التي جاء فيها: «شهود بمعرفتهم اليهودي يعقوب بن إسحاق بن بنان المدعو البليطي من يهود ملاح تطوان المعرفة التامة الكافية شرعا بها ومعها يشهدون بأنه (كذا) عاينوه يشتري العظم ممن كان يبيعه له من المسلمين رجالا ونساء بثمانية بليون للقنطار»[40].

استمرارية وجود المرأة التطوانية بالمجال الحرفي خلال القرن العشرين

أ- حرف نسوية مرتبطة بالنسيج

صنعة الطرز

تميز الطرز التطواني عن غيره من أنواع الطرز بالتنوع والإتقان والدقة، نظرا لتنوع الحضارات التي ساهمت في تكوين ساكنة تطوان، وتنوع العناصر البشرية التي كونت المجتمع التطواني، خاصة الأندلسي، العثماني، الفاسي، الريفي والجبلي... فإن المرأة التطوانية قد تفننت في فن الطرز، واستقت إبداعها من كل تلك المنابع الحضارية وأضفت عليها طابعها الخاص الذي جعله يكتسي صبغة ذات سمات متميزة، هي التي عرفت فيما بعد بالطرز التطواني الأصيل[41].

ويبقى التأثير الأندلسي واضح وراسخ في فنون الطرز النسائية المعروفة في مدينة تطوان ويتجلى ذلك التأثير في الزي والمطرزات النسيجية، سواء النسائية أو المتعلقة بزينة البيت. حيث يمكن أن نعاين وجود الزخارف النصرية والمدجنة الأصل في المطرزات التطوانية التقليدية.

وإذا كانت أغلب الدراسات تحدثت على أن الطرز الأندلسي التطواني لا ترجع بدايته الأولى إلى القرن التاسع عشر، فإن بعض بقايا الطرز المذكور تعد أقدم من ذلك بكثير، فهي ترجع إلى القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وهي فترة الرحلات الأولى للأندلسيين نحو ضفة شمال إفريقيا ومعها تم ترحيل الثقافة الأندلسية، وتشهد بقايا هذا الطرز على مهارات وتقنيات حافظت عليها مدينة تطوان بأمانة خلال ما يزيد عن أربعة قرون، ولقد فرض طرز آخر نفسه بعد الزخاريف النصرية. ويستمد هذا الطرز أصوله الفنية والإبداعية من مطرزات "إكسطريمادورا" «Extremadura» وقشتالة التي ترجع إلى عصر النهضة.

فخلال القرن الثامن عشر كان الطرز في تطوان دائما أحادي اللون، وهو عامة إما أرجواني أو أخضر أو برتقالي فوق ثوب أبيض من قطن أو كتان. وتكرر الرسوم التجريدية في هذا الطرز صيغا نباتية على شكل دوائر مغلقة في الغالب. ولم يستهلك الطراز التطواني أشكال إنسانية وحيوانية لتعارض ذلك مع الدين الإسلامي[42].

كما برعت المرأة التطوانية في فنون الطرز الحديثة كالطرز بالآلة والطرز بالكمبيوتر، الذي يعتبر مستجدا في عالم الأزياء التقليدية المغربية عامة والتطوانية خاصة.

صورة (1): طرز التعجيرة التطوانية

المصدر: تصوير الباحث من فضاء سيدي المنظري للفنون والتراث بتطوان بتاريخ 2016/12/12

حيث تبرع في وضع تصاميم طرزية فريدة ومميزة. وأغلب هذه التصاميم الفنية توضع على الجلباب والقفطان أو

"التكشيطة." فيما تم إهمال الطرز اليدوي النسائي نوعا ما نظرا لسببين أساسين وهما: غلاء ثمنه وثانيهما صعوبة إتمامه في وقت قياسي. وهكذا أبدعت المرأة التطوانية واجتهدت في فنون طرز عديدة وصنعات مختلفة منه.

جدول(2): أنواع الطرز النسوي الأصيل المشهور بتطوان

نوع الطرز	وصفه	وجوده
طرز التعجيرة	– يكون على هيئة زهور، وينسج بالحرير الخالص ذي الألوان الفاتحة الأحمر والأخضر والأصفر والبنفسجي. في الوسائد والأفرشة فقط.	نادر
الطرز الماكينة	–هو الطرز الوحيد الذي يتم بآلة وقد برعت فيه السيدة التطوانية، ويستعمل في الألبسة وبعض الأفرشة.	موجود
طرز الرباطي	–سميت بالطرز الرباطي نسبة إلى مدينة الرباط ويتميز هذا النوع من التطريز بغنى ألوانه وأشكاله، وتتفنن الصانعات في استعماله لتزيين القفطان إلى جانب الأغطية والمناديل.	نادر
طرز التطواني	–الغرزة التطوانية تتميز بدقتها وتأخذ فيها عدد أقل من الغرز الموجودة في الغرزة الفاسية.	موجود
طرز الرشام	–يستخدم فيه الحرير الخالص، ويطرز على رسوم خاصة تم رسمها على الثوب بواسطة القلم.	نادر
غرزة الرندة	–تستعمل في جلابيب النساء والرجال وتتميز بدقتها وأناقته.	موجودة
طرز الحساب	–سمي بهذا الإسم لأنه يعتمد على حساب الخيوط الدقيقة، مكونا مثلثات متتالية أو أشكالا متوازية الأضلاع، أو غيرها من الأشكال الهندسية القائمة على التساوي في خط مستقيم وذلك باستعمال الحرير الخالص ويكون خاصة في إيزار الناموسية.	نادر
طرز الغرزة	–هو نوع من الطرز الفاسي ويتكون من مجموعة من الصنعات مثل الوردة والقلب والجوارح ...	موجود

المصدر: عمل الباحث

– صنعة الحياكة

كانت صناعة الحياكة بتطوان مزدهرة ابتداء من القرن التاسع عشر، ويعبر عنها في تطوان "تدرازت"، وصناعها من الرجال إلا المناديل الصوفية والقطنية صناعة نسائية وهي المقصودة بالدراسة. القائمات على هذه الحرفة متدينات وملازمات للصلوات في أوقاتها وأغلبهن ينتمين للطريقة العيساوية أو الجيلانية[43]. وقد ظلت الأدوات عتيقة تعتمد على المنوال التقليدي المعروف "المرمة" أو أداة أخرى تسمى "المقطع".

بالنسبة للصوف المستعمل في المنسوجات الصوفية، فهو يأتي من القبائل المجاورة ونواحي الريف وشفشاون وغمارة، إضافة للصوف المستخلصة من الغنم المذبوحة في المدينة، فبعد شراء الصوف وتنظيفها جيدا بالماء، تتم معالجتها بأداة مسننة تسمى "القرشال"[44]، ثم يغزل بعد ذلك بالمغزل، فإما يمر مباشرة للدرازة أو يمر لمرحلة الصباغة وهذه العملية تتم بألوانها الطبيعية النباتية، إذ تستنبط من النيلة والحناء وقشور الرمان ولحاء شجر الجوز، وهذه الألوان مازالت تستعمل لحد الساعة من طرف بعض الحرفيات القلائل اللواتي مازلن يمتهن "تدرازت". وبعد الصباغة يترك في الهواء حتى ينشف تماما، ثم يمر لعملية الدرازة عن طريق آلة المرمة فيتم إنتاج الأقمشة والمناديل. وإضافة للمنسوجات الصوفية تنسج المنسوجات القطنية والحريرية. وكل هذه المراحل تعتبر المرأة التطوانية مبدعتها باستثناء عملية البيع 'والدلالة' فهي من اختصاص الرجل.

فإنتاج الأقمشة عند المجموعات البشرية طالما سينتج عنها بروز فنون أخرى مرتبطة بهذا المنتوج، فأبرز هذه الحرف الفنية نجد الخياطة التقليدية، وابتكار التصميمات المتعلقة بالزي التقليدي النسائي، إذ عرفت تطوان ومازالت بحرفيات ماهرات

صورة(2): المنديل التطواني الجبلي الأصيل

المصدر: تصوير الباحث من سوق المنادل بتطوان

يشهد لهن بمهارتهن ودقتهن، وبالفعل فبحثنا الميداني كشف لنا العديد من الحرفييات عن فترة الازدهار التي تعيشها حرفة الصناعة التقليدية وخصوصا صناعة القفطان الذي ارتفع الطلب عليه، وفي هذا الصدد نذكر العديد من الحرفيات الصانعات المحنكات اللواتي تلقين في البيت حرف عديدة كالطرز والحياكة والخياطة بكل أنواعها التقليدية، فهن رمز لسلسلة إنتاج المنتوج التطواني ونموذج لنساء أخريات يتقن عدة مهارات وتقنيات في فنون الحياكة والخياطة والطرز، حيث أكدن أن الخياطة التقليدية حرفة تعرف انتعاشا كبيرا في السنوات الأخيرة، وأكثر ما ساعدهن على ذلك دخول منتوج القفطان للعالمية، وأيضا مهارة الصانعات التطوانيات وإبداعهن في التصاميم المبتكرة من التراث التطواني الأصيل لا من حيث الشكل ولا الألوان أو الترصيع، ولكن للأسف انتعاش الخياطة كان على حساب فن الحياكة الذي بدأ يندثر، إذ في تطوان لم يزل سوى معلم واحد وسيدتين يمتهن هذه الحرفة. وهذا ما يهدد هذا التراث اللامادي بالزوال إذا ما ظل الحال كما هو عليه، حيث الآن تستورد الأقمشة من دول أخرى كتركيا والدول الأوروبية وغيرها، بأثمان معقولة بل أكثر من هذا تكون مرصعة ومطرزة لا تحتاج

لعملية التطريز والترصيع. في حين أن قماش الدرازة يجب ترصيعه بالأحجار الكريمة أو تطريزه، وهذا ما يزيد في تكلفة الإنتاج.

صورة (3): نموذج للقفطان التطواني الأصيل خلال القرن التاسع عشر

المصدر: عدسة الباحث -المتحف الإثنوغرافي بتطوان

ب–حرف نسوية مرتبطة بالتغذية

-صنعة الطبخ

كان للمرأة التطوانية مساهمة كبيرة في تطوير المطبخ التطواني خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر والتي تميزت منذ فترات تاريخية سابقة بتفوقها في فن الطبخ، حيث أن القصر الملكي كان ولازال يعتمد طباخات من مدينة تطوان لشغفهم بفن الطبخ، بل وأكثر من هذا يقمن بتكوين طباخات أخريات داخل مطابخ القصور الملكية، وفيما يلي نص رسالة موجهة إلى عامل تطوان سنة 1910م من سلطان المغرب آنذاك المولى عبد الحفيظ حيث يقول فيها: "الحمد لله وحده و صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله محبنا الأرضى الباشا القائد عبد السلام بن الحسين البخاري، أمنك الله وسلام عليك و رحمة الله عن خير مولانا أيده الله، وبعد فإن الحاجة الطباخة التي كانت وردت لدينا مع زوجها على يدك، بقيت عندنا هذه الأيام وزوجها لازمه مرض، والآن شاء التوجه إلى وطنه، وها هو توجه في رفقة أصحابنا، وصحبته وزوجته، تواجههما السلامة والعافية. ثم إن الحاجة داعية إلى إماء عارفات بأشغال الطبخ والحلاوى، لا نقبل منك اعتذارا بفقد ولا تعذر حتى تبعث لنا عن اثنتين أو ثلاث من أدب الديار والبيوت الكبار، وتشتريهن وتوجههن عاجلا وتعلمنا بالثمن، فإن الطبخ لا يناسب استعمال غير الإماء فيه، لكونهن أثبت وأبقى، وها نحن في انتظار جوابك بالتيسير يسر الله وأعان على المحبة والسلام "[45].

وأشهر ما برعت في إعداده المرأة التطوانية أطباق الأسماك بكل أنواعها، والوجبات المعتمدة على الحبوب كالعصيدة مثلا، وأيضا الأطباق المعتمدة على الدواجن كالبسطيلة والدجاج المشرمل، من جهة أخرى تستعمل اللحوم الحمراء في تحضير مادتين مهمتين في المطبخ التطواني وهما الخليع والقديد، حيث برعت الطباخة التطوانية في إعداد هاتين المادتين الاستهلاكيتين سواء في طريقة التحضير الأولية أو في تقديمها جاهزة للاستهلاك النهائي، وقد ارتبطت هذه المواد بمناسبات عديدة كعاشوراء

بالنسبة للقديد ووجبة الفطور في أيام العيد بالنسبة للخليع.

الخليع: هو شكل من أشكال ادخار اللحوم الحمراء، التي يتم استهلاكها خلال فترات طويلة بحسب الحاجة من طرف الكبير والصغير، وهو من الأكلات ذات الأصل الأندلسي حيث جلبها الأندلسيون معهم، ويورد محمد داود مجموعة من الإشارات التي تشير إلى إرسال قائد تطوان "أشعاش" إلى السلطان العلوي مولاي عبد الرحمان كمية من الخليع. يقول محمد داود: "وعلى عادة القائد أشعاش مع الدار السلطانية، بعث إليها هذه المرة ثلاثين من الأواني مملوءة بالخليع مع صناديق مملوءة بالحلوى الأندلسية والجزائرية التي كانت تطوان تتقنها وتتفنن في صنعها، مما يدل على براعة العائلات الموريسكية التطوانية في إعداد هذا النوع من الأطباق"[46]. يتم إعدادها من طرف النساء إما في شكل جماعات (عائلات أو جيران) أو فردية. ومراحل الإعداد تبدأ بجلب التوابل وتنظيفها وتنقيتها من الأحجار وهذه التوابل هي الثوم، الكامون، الكزبرة حبات، والملح. وتعرض هذه التوابل للشمس مملحة حتى تجف فتسحق بالمهراز وهو آلة يدوية لطحن التوابل، حيث تمزج بقليل من الخل والزيت وتضاف لقطع اللحم المنقاة من العظم. وغالبا ما يكون لحما بقريا فيترك ليلة كاملة في التوابل أو "الشرمولة" وفي الغد يقلب اللحم وتضاف له "الشرمولة" مرة أخرى ويترك من جديد ليلة ثانية، وفي الغد يخرج للهواء الطلق، ليجف ولكن لا يعرض للشمس مباشرة. وبعد جفاف اللحم تماما ويصبح قديدا يتم طبخه. وتحضيره ترافقه أجواء احتفالية، حيث توضع طنجرة كبيرة من الماء على الفحم أو الحطب، تسمى بالطنجيرة، ويضاف لهذا الماء قطع الشحم المملحة اليابسة وبعد غليان العناصر وذوبان الشحم نهائيا، يضاف اللحم بالإضافة لزيت الزيتون والزيت العادية، ويظل اللحم يطهى حتى يتبخر كل الماء، وينزع من فوق النار حتى يهدأ، فيصبح بذلك جاهزا، وتبدأ آخر عملية في تحضير الخليع وهي عملية "الذوقة" أي تذوق الخليع بعد أن يصبح باردا بخبز معدة خصيصا لذلك[47].

القديد: هو لحم مدخر يتم تتبيله كما يتبل الخليع، أو فقط يضاف له الملح. ويكون من لحم الغنمي المدخر في عيد الأضحى، والبقري في فترات مختلفة من السنة، لاسيما بداية شهر ماي. ويعرض اللحم في الهواء ولا يعرض للشمس مباشرة. وغالبا ما يتم استهلاكه في مناسبات معينة كيوم عاشوراء من كل سنة، أو في يوم 'حاجوزة'.

– صنعة الحلويات

برعت المرأة التطوانية في صناعة الحلوى بمختلف أشكالها، بل أكثر من هذا حولت صناعتها لفن له خصوصياته التقنية والفنية، وعرفت المدينة بصيتها البالغ في ذلك، خاصة في القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا، ونظرا لوفرة اليد العاملة في هذا المجال، واستهلاك أهل تطوان للحلويات بكميات متفاوتة ظهرت العديد من الأحياء معروفة ببيع الحلويات الجاهزة كحي العيون، وحي سقالة، وحي المصلى القديمة بالمدينة العتيقة، وأحياء أخرى بمركز المدينة العصري، ويعزى ذلك لتأثر المطبخ التطواني بالثقافة العثمانية والأندلسية على حد السواء، لما عرف به من تفنن وإتقان وإبداع في مجال الحلويات، كما ساعد في ذلك عاملين اثنين هما: ذوق وتفنن الساكنة المحلية في فن الطبخ عموما، ومن جهة أخرى توفر العديد من المواد الأولية التي تدخل في صناعة الحلوى بشكل يساعد على التفنن والإبداع في هذا المجال، والدليل في ذلك هو اقتناء الحلويات من مدينة تطوان أو جلب سيدة تطوانية لمدن بعيدة من أجل إعداد الحلويات لمناسبات كالأعراس والعقيقة وحتى الأعياد. وكما قلنا آنفا فالقصر الملكي كان دائما يستعين بسيدات تطوانيات في إعدادهم لحلوى القصر الملكي وضيوفه. والواقع أن

سكان تطوان قد تفننوا في صناعة الحلويات والأطعمة الطبيعية، وذلك ما تفيد به وثيقة من عصر السلطان الحسن الأول (مؤرخة في 15 محرم الحرام 1307 هـ)، "إذ تكشف عن أسماء أربعة إماء من القصر الملكي بعثن إلى تطوان لتعليمهن فن صناعة الحلويات والأطعمة الطبيعية على يد الأسر التطوانية الأندلسية، فكانت الأمتان سعادة ومبروكة تتعلمان بدار الحاج محمد اللبادي، والأمتان "زايدة العبدية" و"مسعودة الفاسية" بدار الحاج عبد الكريم بريشة، وتصف الوثيقة الحسنية أصناف الحلويات والمطبوخات، وتذكر منها: بشكت والملوزة، قفافل، بقلاوة، المونضات، المسمنة، الطابع، القطائف، المحنشة، الرغائف بالجبن، البغرير، السنبوست السفنج، الفقاقص، البجماط، القراشل"[48].

صورة (4): حلوة بقلاوة التطوانية

صورة (5): الكعاب التطواني

المصدر: بعدسة الباحث نورالدين أشبون بتاريخ 2018/12/12

تطلب العديد من الحلويات التطوانية الأصيلة من طرف المستهلك أيام قبل إعدادها لكونها تنتج بطرق تقليدية يدوية، خصوصا تلك التي تحتاج للتزيين الخارجي باليد، وهذه الحلويات منها ما هو حلو ، ومنها ما هو بلا سكر، ومنها ما هو مالح ويسمى في تطوان بالمالح، وهذا الأخير غالبا ما يملأ بالدجاج أو الجبن أو اللحم المفروم أو الخضر، ومن بين أشهر الحلويات التطوانية والتي يكثر عليها الطلب أيام الأعياد والمناسبات نجد الكعاب، الفقاقص، المحنشة، البقلاوة، الطابع، المجبنة، القطايف، الملوزة، الغريبية، البشكيتو بويوات، كيكس د الماكينة، القفافل، القراشل، البجماط، الشباكية، الكويلج ...

جدول(3): استعراض أهم الحلويات التطوانية ومكوناتها

اسم الحلوى	المذاق	المكون الأساسي	الأصل
الفقاقص	حلو	الدقيق الممتاز	مجهولة الأصل
القراشل	حلو	الدقيق الممتاز	مجهولة الأصل
القفافل	حلو	الدقيق الممتاز	مجهولة الأصل
الكعاب	حلو	اللوز	الأندلس
البجماط	حلو	الدقيق الممتاز	محلي
المحنشة	حلو	اللوز	الأندلس
الغريبية	حلو	الدقيق الممتاز	الأندلس
الشباكية	حلو	الدقيق الممتاز –العسل	عثماني
البقلاوة	حلو	اللوز–العسل–الورقة	عثماني
البشكيطو بويوات	حلو	الدقيق–البيض	محلي
البشكيطو	حلو	الدقيق–البيض	الأندلس
المجبنة	حلو	الجبن البلدي–العسل	الأندلس
البريوات دلوز	حلو	اللوز–الورقة	محلي
البوروك دجاج	مالح	الدجاج–الورقة	محلي
الباندیات	مالح	الدقيق–الحشوة حسب الطلب	إسبانيا
البسيطلات	مالح	الدجاج–الورقة	الأندلس
القنانط د روز	حلو	الورقة–الروز–العسل–	محلي
القنانط د جبن	مالح	الجبن–الورقة	محلي

المصدر: من إنتاج الباحث بالاعتماد على البحث الميداني.

خاتمة:

مما تقدم، فإن التأريخ الموضوعي للمجال الحضري الإسلامي لاسيما في الجوانب الاجتماعية، يقتضي منا اليوم الانفتاح على إشكالات أخرى لا طالما أغفلها المؤرخ التقليدي، أي البحث في مواضيع همشت واعتبرت غير ذي أهمية، ولا يمكن تناولها لأسباب ربما ذهنية، مذهبية، سياسية، ثقافية...

واليوم أمام بروز توجهات أكاديمية في البحث التاريخي، وانفتاح التاريخ على علوم ومناهج مختلفة، برزت أصوات ودعوات من أجل تناول كل المسكوت عنه في تاريخنا، (البسطاء، السحر، المنحرفون، اللصوص...)، ولعل قضايا المرأة إحداها.

فالباحث المعاصر، حينما يريد التقصي والنبش في مواضيع تاريخية ذات صلة بتاريخ المرأة ودورها في عدة مجالات يصطدم بفراغ مهول، يجعله أمام حيرة وتساؤل منطقي، لماذا هذا التغييب؟

ويزداد التعقيد أكثر، هو غياب الوثائق والمصادر الدفينة حول المرأة في مختلف الحقب. وهذا ما تلمسناه أثناء عملية البحث حول إشكالية الحضور النسوي بتطوان الفترة المعاصرة، إذا بعد بحث متواصل وجدنا فقط شذرات متناثرة وشحيحة اقتضى منا جهدا في التحليل والتركيب. من جهة أخرى، تبدو المرأة التطوانية خلال زمن الدراسة حاضرة في صنائع عدة، تفاعلت مع واقعها وأسهمت بجهدها أنذاك لتعبر عن إمكاناتها الأنثوية، الفنية، المهارية، الإبداعية في العديد من الحرف ذات الصلة بخصوصياتها كأنثى، أو تلك التي تشترك فيها مع الرجل. ايضا يتضح أن حضورها وإن كان محدودا في فترات القرن التاسع عشر، فإن مستجدات القرن العشرين جعلها حاضرة بكثافة في صنائع مختلفة نتيجة تحولات ثقافية وسياسية واقتصادية، ميزت المجال المغربي.

ولا يفتونا هنا، إلا أن نوصي بضرورة نشل المرأة في التاريخ من غياهيب النسيان بتناول –وعبر الوثيقة التاريخية– مختلف قضاياها التي تحتاج للتأريخ، وهذا في اعتقادنا يسير في اتجاه دمقرطة التاريخ الإسلامي.

الهوامش:

1- حميد اجميلي، "المسألة الديموغرافية بالمغرب الأقصى، مؤشرات إحصائية حول الاقتصاد والتمدين خلال العصر الوسيط ق 6-8هـ/12 – 14م". منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، طبعة أكتوبر 2018، ص. 44.

2- ورد عن: دلال لواتي، عامة القيروان في عصر الأغالبة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، الطبعة الأولى 2015، ص. 233-234.

3- حميد اجميلي، المسألة الديموغرافية ...، م. س، ص. 44-45 (بتصرف).

4- توفيق محمد لقبايبي، حرف الماء في تاريخ المغرب، بين التأصيل والتجديد. دراسة في تاريخ نماذج من الحرف المائية. مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى 2020، ص. 7.

5 – محمد رضى بودشار، «التصوف والتهميش بالمغرب الوسيط»، ضمن ندوة، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي وتاريخ الذهنيات بالمغرب والأندلس، قضايا وإشكالات، ج2، قضايا في التاريخ الاجتماعي، أوراق الندوة الدولية التكريمية للأستاذ المؤرخ إبراهيم القادري بوتشيش،

المنظمة من طرف الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تقديم وتنسيق محمد الشريف. الطبعة الأولى 2020، مطبعة شمس برينت، سلا، ص. 108.

6 – محمد البركة، «المعالجة التاريخية للحرف والصنائع بالغرب الإسلامي، مقاربات منهجية ومعالم «تجديدية»»، ضمن، الحرف والصنائع بالغرب الإسلامي مقاربات لأثر المجال والذهنيات على الإنتاج، ج 1، سلسلة شرفات ع 76، منشورات الزمن مطبعة بني ازنانس، سلا، أكتوبر 2016، ص. 21.

7– محمد البركة، «المعالجة التاريخية للحرف والصنائع بالغرب الإسلامي، مقاربات منهجية ومعالم «تجديدية»»، ضمن، الحرف والصنائع، ج 1، المرجع نفسه، ص. 23.

* تعددت مهن المرأة التطوانية المرتبطة بهذا القطاع، فكان منهن: القرشالة، خياطة الملف، الثياب الداخلية، الطوزان، وضرابة البرشمان، الطرازة، الرقامة، معلمة المسمسم، راجع، حسناء داود، تطوان، سمات وملامح من الحياة الاجتماعية. منشورات مؤسسة محمد داود للتاريخ والثقافة، مطبعة الخليج العربي، تطوان، الطبعة الأولى 2019، ص. 81.

– فاطمة العيساوي، المرأة والمجتمع، دكتوراه في التاريخ، نوقشت بكلية الأدب والعلوم الإنسانية بالرباط، السنة الجامعية 2009، ص.8.301

9– أحمد الرهوني، عمدة الراوين، في تاريخ تطاوين. تحقيق جعفر بن الحاج السلمي، منشورات جمعية تطاون أسمير، مطبعة الخليج العربي تطوان، الطبعة 2012، ج 1، ص. 222.

10– فاطمة العيساوي، المرأة...، م. س، ص.302.

11– عمدة الراوين، م. س، ج 1، ص.222.

12– نفسه، ج 1، ص.246.

13– نفسه، ج 1، ص. 246-247.

14– فاطمة العيساوي، المرأة...، م. س، ص.303.

15– عمدة الراوين، م. س، ج 1، ص.223.

16– فاطمة العيساوي، المرأة...، م. س، ص. 304.

17 – Don Fernando Amor, Recuerdos de un viaje a Marruecos, Sevilla 1859, p. 362. Andalucía. De Imprenta,

18– عبد العزيز بن عبد الله، معطيات الحضارة المغربية. دار الكتب، الطبعة الثالثة، الرباط، 1936، ج2، ص. 78.

19 – استعرضت حسناء داود وظائف القابلة بشكل مفصل يبرز أهميتها في حياة المجتمع أنداك. راجع، تطوان سمات وملامح من الحياة الاجتماعية، م س، ص. 187-190.

20- فاطمة العيساوي، المرأة والمجتمع...، م. س، ص. 298-299.

21- عمدة الراوين، م. س، ج 1، صص.233-234.

22- شهادة بتاريخ 29 محرم 1169هـ/ 3 نوفمبر 1755م، ضمن حوالة مسجد الربطة، ص. 29. بنظارة الأوقاف بتطوان.

23- المرأة والمجتمع ...، م. س، ص.299.

24- برزت هذه الحرفة بشكل أكبر في المدينة خلال مناسبات الزفاف. أنظر بعض أدوارها ب، تطوان، سمات وملامح...، م. س، ص. 207، وص. 213-214، وص. 216.

25- عمدة الراوين، م. س، ج 1، ص.237-238.

26- المرأة والمجتمع...، م. س، ص. 289.

* أي تلك الأمة التي تختص في إطلاق الزغاريد، وقد أبرزت حسناء داود في استعراضها لطقوس الزواج بالمدينة اللحظات والمراحل التي تقوم بها هؤلاء النسوة بالتولويل. أنظر، تطوان سمات وملامح...، م. س، ص. 197-224.

27- عمدة الراوين، م. س، ج 1، ص.237. وفي نص أجنبي يشير أنه في حالة وفاة شخص ما تأتي نسوة محترفات في إبراز الحزن على المتوفي، لكن لانعرف هل استمر وجود هذه الحرفة بالقرن 19، ومما جاء «...عندما يتوفى أي أحد يقوم الأصدقاء الأخرين باستئجار نساء ينحن على المتوفي، فتتجمع هاته النساء حول الجثة بإحداث عويل غريب وغير عاد، فيخدشن أنفسهن إلى أن تمتلئ أظافرهن بالدماء...إلا أن كل هذه الطقوس تكون مصحوبة بعويل ومتمنيات للمتوفي برحلة طيبة...» راجع أطروحة، مينة مادني، ترجمة ل، تاريخ الثورات في إمبراطورية المغرب بعد وفاة السلطان الراحل مولاي إسماعيل لمؤلفه جون برايت وايت، ترجمة ودراسة. د. د. العليا، نوقش بكلية الأداب والعلوم الإنسانية بالرباط. السنة الجامعية 1999-2000، ص. 299-300.

28 – من كتاب Au Maroc Espagnol لصاحبه Paul de Laget الذي يؤكد بالصفحة 63 منه، أن من العادات التي ميزت بيوت أعيان المدينة خلال مناسبات أو أفراح هو الحرص على تنشيطها بالموسيقى وترديد القصائد والأمداح، وأن المسؤول على تلبية رغبات الضيوف والحضور مجموعة من الخدم الدين غالبا كانوا عبيدا يسهرون على تقديم الأطعمة والحلويات والمشارب.

29 – عمدة الراوين...، م. س، ج 1، ص. 234.

30- المرأة والمجتمع...، م. س، ص.282.

31- عمدة الراوين...، م. س، ج 1، ص. 236.

32- نفسه، ج 1، ص. 236.

33- المرأة والمجتمع...، م. س، ص.283.

34- اعتمدت معطيات كتاب حسناء داود، تطوان، سمات وملامح...، مرجع، سابق.

35- المرأة والمجتمع...، م. س، ص.284.

36- عمدة الراوين، م. س، ج 1، ص.236.

37- نفسه، ج 1، ص. 227.

38- المرأة والمجتمع...، م. س، ص. 290.

- 39 -paul de Laget, Au Maroc Espagnol, Nouvelle Edition, Dar al aman, Rabat, 2016. P, 41.

40- رسم عدلي بتاريخ 21 رجب 1311هـ/ 28 يناير 1894م، مح 50/117، خ ع بتطوان. ورد عند العيساوي، المرأة والمجتمع، م. س، ص.292.

41- داود حسناء، سمات وملامح من الحياة الاجتماعية، م س. ص280.

42-http://andalushistory.com(2020/09/09)

43- عبد العزيز السعود، تطوان خلال القرن التاسع عشر، منشورات جمعية تطاون أسمير، مطبعة الحداد يوسف إخوان ش.م.م/ تطوان طبعة 1996، ص. 19-36.

44- عمدة الراوين، م س، ج2، ص، 222.

45- محمد داود، التكملة ذيل لكتاب تاريخ تطوان (في خطط المدينة وسكانها وحياتها الاجتماعية)، مراجعة وتحقيق وإضافات حسناء محمد داود، مطبعة الخليج العربي، الطبعة الاولى 2016. ص222.

46- نفسه، ص507.

47- حسناء داود، سمات وملامح...، مرجع سابق، ص 290.

48- محمد داود، التكملة، مرجع سابق، ص507.